

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[106] خمسة أنبياء عظام، أُلقي هذا السؤال الوجيز المتين (آ- خير أم لا يشركون)؟! أم لا في الآيات محل البحث فتفصل السؤال.. وتوجه للمشركين خمس آيات تبدأ بخمسة أسئلة، لتناقش المشركين وتحاكمهم، وتكشف دلائل التوحيد في الآيات الخمس في اثني عشر مثلاً! فالآية الأولى من هذه الآيات تتحدث عن خلق السماوات والأرض، ونزول الماء من السماء والبركات الناشئة عنه، فتقول: هل أن معبوداتكم أفضل (أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق ذات بهجة) .(1)(2) "الحدائق" جمع "الحديقة"، وهي كما يقول كثير من المفسرين: البستان الذي يحيطه الجدار أو الحائط، ومحفوظ من جميع الجهات، ومنها سميت حديقة العين حديقة لأنّها محفوظة بين الجفنين والهدب، أم لا الراغب فيقول في المفردات: إن "الحديقة" تطلق في الأصل على الأرض المجتمع فيها الماء، كما أن "حديقة العين" فيها الماء دائماً. ويستفاد من مجموع هذين الرأيين أن الحديقة بستان له جدار وماء كاف، و "البهجة" على وزن (لهجة) معناها الجمال وحسن الظاهر الذي يسر الناظرين. ويتوجه الخطاب نحو العباد في ختام الآية فيقول: (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) .

_____ 1 - كلمة (ذات) في "ذات بهجة" جاءت مفردة، مع أن حدائق جمع وهي موصوفها، وذلك لأنّ الحدائق جمع تكسير، وجمع التكسير قد يأتي أحياناً بمعنى الجماعة، وهي - أي لفظة الجماعة - مفرد وصفها مفردة أيضاً.. 2 - هذه الآية في الحقيقة فيها حذف وتقديره: ما يشركون خير أم من خلق السماوات والأرض؟ وفي الحقيقة إن السؤال في الآية السابقة كان هكذا: الله خير أم الشركاء؟ وهنا يبدأ السؤال بالعكس: ما يشركون خير أم من خلق السماوات والأرض.